# من أجل خطة لتسديد التبليغ في السياق الإفريقي

ذ. حسن عزوزي

رئيس المجلس العلمي الجهوي لجهة فاس مكناس

لاشك أن التفكير في مشروع لتسديد التبليغ في المجتمعات الإفريقية يعتبر عملا طموحا ومشروعا قاصدا يمكن لمؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة أن تسعى من خلاله إلى النهوض بمهمة التبليغ في مرحلتها الجديدة على غرار ما انطلق العمل به في المملكة المغربية بتدبير وإشراف من المجلس العلمي الأعلى في إطار ما يعرف بخطة تسديد التبليغ.

ولا شك أن العلماء الأفارقة، وهم مهتمون بتقوية الوازع الديني لدى الناس، ومنشغلون بضرورة تبصيرهم وتلبية احتياجاتهم الدينية، قادرون على وضع أسس خطة سديدة لترشيد مهمة التبليغ، والانتقال بها من مرحلة سابقة غلب فيها ضعف الاهتمام بمهمة تزكية النفوس وتهذيب القلوب وتغليب جانب التعليم بغير نسق ولا نظام هادفين، فأحوال المسلمين بصفة عامة وأوضاعهم في جميع مجالات الحياة لا تُظهر حضورا بارزا لعنصر التزكية باعتباره من أهم عناصر التبليغ الهادف استنادا إلى المهام النبوية الأربع في التبليغ والتي قررتها الآية الكريمة ﴿هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ **[سورة الجمعة، الآية 2]**

فمهام التلاوة والتزكية والتعليم والحكمة، كلها مما ينبغي أن يلتزم بها كل مبلغ في جماعته أو قريته، بحيث يتضمن التبليغ العلاقة بين المبلِّغ والمبلَّغ، ومادة التبليغ، ومنهجه المطلوب لغاية البيان والتعليم.

"إن إدراك هذه الحقيقة تجعل العلماء على وعي بأن السياسة الموكلة إليهم التي مدارها على التلقين والتمثيل والتمرين هي التي يمكن أن تصلح بها حياة الناس وتنمو بها مجتمعاتهم، وهو ما يقتضي بذل مجهود خاص يتطلب على وجه الخصوص قيام العلماء بكل ما أوتوا من قوة بحق البلاغ وامتلاك مفتاح السلوك الذي هو قلوب الناس عن طريق توظيف وازع القرآن واستعماله في الإصلاح على أوسع نطاق[1].

يقول الشيخ عثمان دان فودي أحد كبار علماء غرب إفريقيا الإصلاحيين (ت 1817م) في سياق حديثه عن أهمية الإصلاح: "فحق على كل مسلم أن يبدأ بنفسه فليصُنها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات، ثم يعلم ذلك أهله وأقاربه، ثم يتعدى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه ثم إلى أهل محلته ثم إلى أهل بلده، ثم إلى السواد المكتنف لبلده وكذا إلى أقصى العالم..." [2]

## الفرص السانحة في التبليغ في البلدان الإفريقية

تتهيأ اليوم- بدون شك- ظروف مناسبة أكثر من أي وقت مضى في معظم البلدان الإفريقية التي تعرف استقرارا مجتمعيا ونماء اقتصاديا وإمكانات وقدرات معتبرة، مما يسمح بالاستثمار في البنى والخدمات الدينية عبر فضاء المساجد وزوايا الطرق الصوفية وغيرها.

وإذا كانت معظم البلدان الإفريقية وخاصة تلك التي لها تاريخ عريق في ميدان التصوف وتعرف نسبة عالية من المسلمين قد قطعت أشواطا مهمة في مجال الدعوة والإرشاد، فإن ما يجمعها جميعا بالمملكة المغربية من الاشتراك في ثوابت دينية واختيارات مذهبية راسخة في القدم كفيل بأن يسمح بنقل مهمة التبليغ التي استؤمِن عليها العلماء إلى مرحلة جديدة تفرز خطة عمل بناءة وطموحة تسعى من خلالها مؤسسات العلماء بهذه البلدان ومن ضمنها فروع مؤسسة محمد السادس

1- سبيل العلماء، منشورات المجلس العلمي الأعلى الرباط، طبعة أولى 2016م، ص 119.

2- الشيخ عثمان بن فودي: إحياء السنة وإخماد البدعة، طبع الأمانة العامة لمجمع البحوث ، تحقيق د. عبد الله يجاور، 1985م، ص 325.

للعلماء الأفارقة إلى النهوض بأمانة التبليغ بما يحقق للمواطنين والمواطنات في كل بلد سعادتهم الدنيوية وفلاحهم الأخروي عن طريق تفعيل وتعزيز قيم الدين وأخلاقه في مجالات الحياة المختلفة.

ولعل من أبرز الفرص السانحة في التبليغ في البلدان الإفريقية ما يلي:

1 - سهولة التعريف بخطة تسديد التبليغ وبيان مناهج تنزيلها واستيعاب مضامينها، فالتنسيق في الموضوع بين الأمانة العامة للمجلس العلمي الأعلى والأمانة العامة لمؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة متاح وميسر، خاصة بعد حصول التوجيه القاضي بضرورة نقل التجربة من المؤسسة العلمية بالمملكة المغربية إلى فروع المؤسسة وغيرها من المؤسسات العلمية والمشيخات الصوفية بالبلدان الإفريقية[1].

2 - إن تنزيل خطة لتسديد التبليغ في كثير من المجتمعات الإفريقية، يأتي في سياق خصوصيات تميز التدين في السياق الإفريقي، بتنامي واتساع دائرة المشيخات العلمية والصوفية النافذة عبر جميع مفاصل التكتلات والتجمعات المسلمة في الحواضر والبوادي، فضلا عن الهيئات والجمعيات الإسلامية المتمركزة في المدن الكبرى والتي أنيط بها تدبير مختلف قضايا الشأن الديني، ومن ضمنها تكوين القيمين الدينيين الذين يبقون دائما في حاجة إلى إعادة التكوين والتمرس على فنون التواصل وآداب التبليغ والإقناع. ولعل ما يستوجب الاشتغال ضمن خطة تسديد التبليغ في السياق الإفريقي في إطار منسجم وموحد، التفاف معظم المجتمعات الإفريقية حول ثوابت دينية واختيارات مذهبية من شأنها ترسيخ وتعزيز مهمة التبليغ في سياق كله تكامل ومساندة.

3 - إن عملية تغيير سلوك وأحوال الناس في البلدان الإفريقية قد أضحت مُيسرة

1- هنا الإشارة إلى دعوة السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الرئيس المنتدب لمؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة في أكثر من مناسبة إلى ضرورة تعميم التجربة المغربية في تنزيل خطة تسديد التبليغ لفائدة فروع المؤسسة بالبلدان الإفريقية.

ومطلوبة بفضل قابلية الناس من جميع الشرائح لاستيعاب خطاب التغيير، خاصة عندما يتعلق الأمر بعنصر التأثير النافذ لدى مشايخ العلم والتصوف، الذين يشرفون على التربية الروحية والتزكية لأعداد غفيرة من الأتباع، حتى أصبحت كثير من الحركات الإصلاحية في غرب إفريقيا تجارب ناجحة في الدعوة إلى الالتزام بتوجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية، وفتح فضاءات الوعظ والإرشاد وإصلاح الناس وتزكية نفوسهم، وقد تميزت المشاريع الإصلاحية لكثير من علماء إفريقيا أمثال الشيخ عثمان دان فودي (ت 1817م)، والشيخ سيكو آماد (ت 1845م)، والشيخ عمر الفوتي ( ت1864م)، والشيخ ساموري توري(ت1900م) وغيرهم بخصائص مميزة، في الإصلاح والتجديد وتسديد التبليغ والإرشاد[1].

4 - إن تحقيق السعادة في الحياة الدنيا مطلب لكل إنسان حينما وُجد، وهي الضالة المنشودة للنوع الإنساني، والمجتمعات الإفريقية مثلها مثل باقي المجتمعات تشتد الحاجة لديها إلى العناية بسعادة الأفراد والأسر حتى لا تكون الحياة ضائعة بين هَم وغَم وأمراض وآفات وانحرافات، يقول الإمام الغزالي (ت 505هـ): "إن البشر خلقوا ليعمروا الأرض ويصلحوها، لكن الشهوات غلبتهم فتولدت الخصومات فمست الحاجة إلى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان إلى قانون يسوسهم" [2].

5 - إن بعض البلدان الإفريقية وخاصة في غرب إفريقيا تشهد يقظة إسلامية كبيرة، وأصداء دعوات تتكرر من هنا وهناك منادية بضرورة الإصلاح والتجديد في أمور وقضايا الممارسة التدينية للناس والعمل بموجب ما يدعو إليه الدين، من قيم ومبادئ مثلى تعتبر حلا لمختلف المشكلات التي تعانيها المجتمعات، وما تلقاه هذه الدعوات من القبول والتجاوب يفتح المجال واسعا أمام إمكانية تنفيذ فكرة تنزيل خطة واسعة لتسديد التبليغ داخل المجتمعات الإفريقية.

1- انظر تفصيلا مسهبا في الموضوع في كتاب ذ عبد الله سيسي : حركات الإصلاح والتجديد في غرب إفريقيا خلال القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بالرباط، 2018م.

2- إحياء علوم الدين، للغزالي، 1 /17.

## عوائق واختلالات

من الطبيعي أن تعرف مناهج التبليغ في البلدان الإفريقية في صورتها الحالية نفس العوائق والاختلالات وأشكال القصور الموجودة في أي مشروع علمي أو تواصلي يستهدف الجماهير، على اعتبار أن ثمة أسبابا ترجع إلى عوامل عدة تتحكم في مصير منهج التبليغ القائم، والذي لا يكاد يحقق المنشود من عملية التبليغ المسدَّد والمثمِر، فحياة المسلمين الواقعية قد أصابتها أمراض وآفات وأخلاق سيئة، تتمثل في الهشاشة وانتشار الفقر والجهل والمرض، وتفشي الخصومات بين الأفراد وداخل الأسر، إلى غير ذلك من المظاهر المختلفة التي تتناقض مع فضائل الدين وتوجيهاته المطلوب إقامتها وتمثلها من أجل التحقق بالحياة الطيبة الموعودة بشرطي الإيمان والعمل الصالح.

من هنا تأتي أهمية مساءلة العلماء في المغرب كما في البلدان الإفريقية لمناهج التبليغ التي يتم اعتمادها والاشتغال عليها، وتَبين مدى تحقيقها للأثر المنشود في تغيير سلوك الناس وتصرفاتهم في علاقتها بحياتهم الدنيوية والدينية على السواء.

في هذا الصدد يجد العلماء الأفارقة أنفسهم أمام رهان يصعب تجاوزه أو إيجاد حل له إذا لم يتم العزم على إعادة النظر في مناهج الاشتغال المرتبطة بمهمات التبليغ المختلفة، والتي يتم اعتمادها وتنزيلها عبر مختلف قنوات الوعظ والإرشاد والخطابة والإعلام. وهذا ما يقتضي اعتماد خطة جديدة لتسديد التبليغ وترشيده، من خلال إعادة توجيه منهج التبليغ لما يؤدي إلى قياس الأثر وتلمس النتائج والثمرات، وتحصيل مستويات مقبولة من تغيير أحوال الناس، والرفع من مؤشرات التنمية البشرية في المجتمع التي تعتبر رافدا من روافد إصلاح المجتمع وتغيير أحوال الناس.

إن تطور حياة الناس وانجرافها إلى تعقيدات اجتماعية ومشاكل ضاغطة، تدفع الإنسان المسلم إلى العيش في خضم أحوال مضطربة وسلوكيات منحرفة، تُبعِد عن حقائق الدين وفضائله وتنافي مراده في الهداية والإرشاد، وهي مفارقة تدعو إلى

التأمل وإعادة النظر في أساليب ومناهج التبليغ، مما يقتضي اعتبار هذه اللحظة التي يتم فيها التفكير في تنزيل خطة جديدة وفريدة لتسديد التبليغ في المجتمعات الإفريقية لحظة فارقة، ومحطة مناسبة لتجديد مناهج التبليغ القاضية بوصل العبادات بثمراتها، وتقويم الأخلاق والسلوكيات في اتجاه تحقيق الخير والصلاح في حياة الناس بعيدا عن مواطن الانحراف والفساد. وينبغي أن يكون انتهاز هذه الفرصة السانحة للعمل على تنزيل خطة تسديد التبليغ في السياق الإفريقي مندرجا في إطار مشروع إصلاحي متكامل ومنسجم مع طبيعة البيئة القائمة وأحوال الناس المعتبرة، تنتفي عنه صفة الارتجال، ويمتحُ شرعيته من الالتفاف الشعبي الحاصل في معظم المجتمعات الإفريقية حول علمائها ورواد الإصلاح بها فضلا عن شيوخ التزكية والتربية الروحية.

"فالتغيير منهج منضبط لنظام من السنن جعلها الله تعالى في عالم الإنسان، تماما كما جعلها في عالم الطبيعة، وكما أن إغفالها أو مخالفتها في العالم الطبيعي تترتب عليه مفاسد خطيرة كتلك التي نراها في التغيرات المناخية والتلوث البيئي، فإن مخالفتها في العالم الإنساني تترتب عليه كذلك آفات لا تقل خطورة نراها في الحروب والنزاعات وفي الانحرافات المختلفة"[1].

لقد أخذت البلدان الإفريقية المسلمة تعرف في السنوات الأخيرة، وبخاصة في المدن ذات الأغلبية المسلمة، تناميا ملحوظا للمؤسسات العلمية والدينية التي تسهر على تخريج الأئمة والخطباء والوعاظ، ويعتبر الشباب المتخرجون أكثر وعيا واستيعابا لأي مشروع إصلاحي يستهدف تغيير أحوال الناس ومستويات تدينهم، وهم-في غالبهم- على قدر كبير من النباهة والحصافة والحضور المتميز بين الناس.

## فضاءات وقنوات التبليغ

لما كانت معظم الأبحاث والدراسات الميدانية التي تجريها مختلف المراكز العلمية

1- خطة تسديد التبليغ، دليل مرجعي في التأصيل والفهم والتنزيل، منشورات المجلس العلمي الأعلى- الرباط – طبعة أولى، 2024م، ص 77.

والقطاعات الحكومية، قائمة على تحديد عَينات مختارة ونماذج محددة تعتبر وحدات قياسية يتم تعميمها بعد ذلك عند التحقق من نجاعتها واطراد نتائجها وسلامة غاياتها، فقد ناسب أن يكون الشروع في تنفيذ مشروع خطة تسديد التبليغ مبنيا على التجريب في مناطق محددة. وبذلك يكون مشروع خطة تسديد التبليغ في كل بلد من بلدان فروع المؤسسة الإفريقية مستهدِفا -حسب الإمكانات المتاحة وحجم فضاءات التجمعات الإسلامية من مساجد وغيرها في المراحل الأولى- عددا محددا من المساجد في المدن والقرى بحيث تكون هذه المساجد مركزية وذات إشعاع تنطلق منها الخطب والمواعظ والدروس التوجيهية والإرشادية. وينبني اختيار المساجد وغيرها من الفضاءات الدينية على معايير محددة تساعد على حسن تنزيل خطة تسديد التبليغ وضمان نجاحها، وهو ما يوكل إلى التدبير المباشر لفرع المؤسسة بكل بلد إفريقي.

وتتنوع قنوات وفضاءات التبليغ في البلدان الإفريقية ابتداء من الوسائل التقليدية إلى وسائط التواصل الرقمية مرورا بالوسائل السمعية البصرية. وبالرغم من الإغراء الذي تحدثه وسائل التواصل الحديثة في النشر والتبليغ فإن فضاء المسجد يبقى الأكثر أصالة والأقوى نفوذا؛ لأنه يضمن الاتصال المباشر بالناس فضلا عن كونه مكانا للعبادة، يرمز إلى معان وإيحاءات روحية تساعد أكثر على التلقي والاستيعاب والتأثر، كما أن فضاء المسجد يضمن نوعا من الاستقلالية والثقة وتعظيم أمانة التبليغ (المبلِّغ، والمبلَّغ، ومضمون التبليغ).

وتعتبر خطبة الجمعة بما لها من مكانة وموقع سامقين في عملية التبليغ وبالعدد الواسع من المقبلين عليها وبانتظامها أسبوعيا من أبرز قنوات التبليغ، وأهم مجالات التثقيف التربوي والتوعية الدينية، ولذلك ناسب أن يكون انطلاق خطة تسديد التبليغ بالمملكة المغربية بخطبة جمعة[1]، تلتها مواعظ منتظمة أدارت الكلام حول موضوع الخطبة داخل المساجد وعبر برامج الإعلام السمعية والبصرية. واستمر الأمر كذلك كل أسبوع في تنسيق تام بين جميع المبلغين والمتدخلين، وانسجام بالغ

1- كان ذلك يوم الجمعة 28 يونيو 2024م.

بين جميع المنابر وقنوات التبليغ في الخطب ودروس الوعظ وفي الإعلام.

ومن قنوات التبليغ الرئيسة ما يتم الإرشاد عن طريقه من دروس الوعظ المنتظمة في المساجد والتي تشرف عليها فروع مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة أو الجمعيات والمراكز والمجالس الإسلامية العليا، وغيرها من الهيئات المخول إليها مهمة الإشراف على تدبير الشأن الديني بالبلد، وتتميز علاقة هذه الهيئات بالوعاظ بكونهم مشاركين مباشرين للعلماء في مهمة التبليغ، وهو ما يقتضي تتبع عملية الوعظ المراد خدمتها لخطة تسديد التبليغ، وذلك من خلال تدقيق مناهج اشتغال الوعاظ، وتطوير قدراتهم، وتقويم أثر الوعظ والإرشاد في نفوس المستفيدين والمستفيدات.

ومن أجل إنجاح مهمة تسديد التبليغ وترشيده في السياق الإفريقي، ينبغي العمل على ضرورة التنسيق مع الخطباء ومجموع الوعاظ بهدف تحقيق نوع من التعاون والتكامل في هندسة الموضوعات المقررة حسب الأولويات، وذلك بعد التأكد من اقتناع جميع المبلغين بجدوى المشروع من جهة، ثم استيعابهم من جهة أخرى للموضوعات مقصدا وتنزيلا، فهناك متطلبات قبلية لتنزيل خطة التبليغ في السياق الإفريقي منها:

- اليقين بكون كل مبلِّغ مقتنعا بهوية المجتمع الإسلامي الذي يعيش في رحابه وبثوابته الدينية، في ظل سيادة أصناف من المتدخلين والمؤثرين في مجال الخطاب الديني.

- العمل على إعداد الجهات والهيئات الدينية المختصة والمشرفة على تدبير الشأن الديني بالبلد لجميع الوثائق والمواد والأدلة المساعدة على تنزيل الخطة في مراحلها التجريبية الأولى، ويمكن بهذا الصدد الاستئناس بالوثائق والمواد العلمية الجاهزة لدى المجلس العلمي الأعلى وبتنسيق مع الأمانة العامة لمؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة، ولعل من أبرز إصدارات المجلس العلمي الأعلى التي يجدر تعميمها على بلدان فروع المؤسسة:

• كتاب الدين للحياة [1].

• خطة تسديد التبليغ: دليل مرجعي في التأصيل والفهم والتنزيل.

• كتاب يوميات الإرشاد[2].

• كتاب أمانة التبليغ: تأصيلا وتنزيلا .

• كتاب سبيل العلماء.

- الحرص على تعيين فرق عمل مكلفة بالتنزيل ومن خلالها كل القيمين الدينيين والشركاء المتعاونين المضطلعين بتنفيذ الخطة. ولما كانت فئة الأئمة المرشدين والمرشدات تعتبر العمود الفقري في تشكيل فرق العمل بالإضافة إلى أعضاء وعضوات المجالس العلمية المحلية بالمغرب، ففي البلدان الإفريقية يمكن الاستعانة بالكفاءات المحلية في مجال الإمامة والخطابة والوعظ، وكذا خريجي معهد محمد السادس لتكوين الأئمة المرشدين والمرشدات ممن يتوفرون على استعدادات كاملة ومهارات معتبرة في مجال الدعوة والإرشاد، ويبقى الإشراف في التدبير والتنظيم راجعا إلى فرع المؤسسة بتعاون مع الهيئات الدينية والمجالس العليا للشؤون الإسلامية المتمركزة في بعض البلدان ذات الإشعاع الديني البالغ.

- العمل على إشراك جميع المعنيين بخطة التبليغ عن طريق المذاكرة والتشاور معهم باستمرار، وتبصيرهم بجميع متطلبات تنزيل منهج التبليغ سعيا إلى الدفع بهم إلى حسن تملك مشروع تغيير أحوال الناس وترشيدها، وما يساعد على ذلك من التمكن من آليات الإقناع والقدرة على التأثير في الخطاب، من أجل ضمان نسبة

1- كتاب يضم حوالي أربعين درسا تخدم مداخل متنوعة لموضوعات التبليغ الهادفة إلى إحداث تغيير في سلوك الناس وتصرفاتهم وأحوالهم، وهو عبارة عن وثيقة مركزية ترمي إلى إبراز الصورة الجميلة للحياة الطيبة الموعودة تحصيلا لسعادة الدارين.

2- كتاب تشكل مباحثه نظما لمجموعة من التجارب في سرد روائي ماتع وحافل بالمعطيات يلخص مجموعة من الوقائع والنوازل ذات الصلة بخطة تسديد التبليغ يمكن للأئمة المرشدين والمرشدات وغيرهم من المبلغين الاستئناس بها في تنزيل الخطة في مناطق التجريب وغيرها.

ولو محدودة من حدوث التغيير المرغوب على أحوال الأفراد والجماعات. ويبقى قياس الآثار ورصد النتائج ومستوى التفاعل إيجابا وسلبا واستحضار أسباب عوائق الاستجابة مما ينبغي مراعاته تتبعا وتقويما، إذ لا برهان لنجاعة خطة تسديد التبليغ في السياق الإفريقي إلا ما يتم بلوغه من التغيير في أحوال الناس وسلوكهم ومدى ربطهم بين العبادات وثمراتها.

- استثمار وسائل الإعلام والتواصل المختلفة لمواكبة خطة تسديد التبليغ، يسهم فيها المبلغون ممن يتوفرون على مهارة في الإلقاء والتواصل، وقدرة على تمرير خطاب التبليغ بقوة وبيان وعلى نمط مرتب منسجم ومقنع، مع ضرورة تدريب مختلف المبلغين على حسن استثمار وسائط التواصل الاجتماعي.

- ضرورة اعتماد خطة للتكوين والتكوين المستمر والتأطير الميداني توجه لعموم المبلغين المنتدَبين للقيام بمهمة تسديد التبليغ وتعزيز مؤهلاتهم ومداركهم في بيداغوجيا التبليغ فهما وتواصلا مع المخاطبين، مع وضع الخطط والبرامج المناسبة لذلك.

إن تجربة فريق العلماء داخل الفرع وفهمه الجيد لطبيعة الواقع الديني والثقافي والعلمي المحلي، وإدراكهم لأهمية إنجاح خطة تسديد التبليغ بعد تمثلها واستيعابها بمقتضياتها ومتطلباتها ومكوناتها حسب التجربة المغربية مع مراعاة الخصوصيات المحلية، كل ذلك له أثره في بلوغ هدف تغيير أحوال الناس من أجل تحقيق مقومات الحياة الطيبة في معيشهم اليومي، بحيث يكون لإيمانهم وعباداتهم ثمرات تنعكس على نفوسهم بالتزكية وصلاح الباطن، وعلى سلوكهم بالاستقامة وصلاح الظاهر؛ فتتحقق لديهم السعادة الدنيوية والفلاح الأخروي.

## الدور المحوري لفروع مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة

إذا كانت فروع المؤسسة هي الجهة الأقدر على الاستئناس بالتجربة المغربية في تسديد التبليغ وترشيده، فإن جهودها قد تتقاطع مع كل الجهود المخلصة الموجودة

في ساحة الدعوة والإرشاد، والتي تهدف لإصلاح أحوال الناس وتحسينها، وكذلك مع جميع النظم والقوانين المحلية التي تسعى إلى تحقيق سعادة الناس وحفظ أمنهم وتعزيز مبادرات التضامن والتكافل فيما بينهم، إلا أن دور فروع مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة يبقى محوريا وأساسيا في مشروع تنزيل خطة تسديد التبليغ في صورتها الإفريقية، وذلك بالنظر إلى الانتماء إلى المؤسسة الأم القادرة على التنسيق التام مع الأمانة العامة للمجلس العلمي الأعلى. وإذا كانت المجتمعات الإفريقية المسلمة على غرار باقي المجتمعات فضاءات رحبة للإصلاح والتأثير من مختلف الفاعلين النافذين سياسيين وجمعويين وغيرهم، فإن التساؤل حول دور العلماء وموقعهم ضمن حركة الإصلاح والتغيير المستمرة يبقى مطروحا بقوة، خاصة في ظل معاناة جميع المجتمعات من اختلالات وانحرافات أخلاقية وسلوكية، لا مجال لانصراف أو تنكب العلماء الأفارقة عن معالجتها وبحث سبل تقليص الهوة لدى الساكنة بين فضائل الدين وبين أعمال كثير من الناس البعيدة عن تلك الفضائل. وهذا ما يدفع العلماء ومن معهم من المبلغين إلى إعادة النظر في أساليبهم في الدعوة والإرشاد والتبليغ.

ومع الإقرار بمحدودية عدد العلماء المنضوين تحت لواء فروع المؤسسة في كل مدينة أو قرية داخل البلد الواحد، فإن الحاجة تدعو إلى الاستعانة بأئمة المساجد وخطبائها، فهم الأكثر عددا والأقرب من الناس انطلاقا من المساجد، كما أن محل اعتبارهم وتقديرهم في أعراف المجتمعات المسلمة وحجم ثقة الناس بهم، ومستوى معرفتهم بأحوال الجماعات، وما يسمح به ذلك من خبرة وتجربة في تشخيص أنواع من الاختلالات والانحرافات المجتمعية التي تحتاج إلى معالجة وتغيير، كل ذلك يدفع إلى الاهتمام بهذه الفئة المعتبرة من القيمين الدينيين بما يعزز المهام الموكولة إليها.

وإذا كان هَم التبليغ ينطلق حملُه وتحملُ أمانته من مؤسسة ذات مسؤولية في تسيير وتدبير الشأن الديني داخل البلد، فإنه يبقى كذلك هَم من تنتدبهم المؤسسة للإسهام في تنزيل الخطة وتفعيلها، ولا شك أن دور الأئمة والخطباء في هذا الأمر ذو أهمية بالغة، لأنهم الأقدر على تضييق الشقة لدى الناس بين ما هم مقتنعون

به من توجيهات الدين وفضائله، وما هو عليه حال تدينهم وممارساتهم لعباداتهم ومعاملاتهم مع الناس.

إن واجب العلماء ومَن معهم من أئمة وخطباء وغيرهم من المبلغين، يتمثل أساسا في توجيه الناس إلى تصحيح تدينهم وترشيد أعمالهم وسلوكياتهم. وبذلك تكون فروع المؤسسة واعية بضرورة تكوين وإعادة تكوين الأئمة والخطباء بما يعين على حسن تنزيل خطة تسديد التبليغ، وهو ما يتطلب تمكين القيمين الدينيين وغيرهم من المتعاونين من اكتساب المهارات اللازمة في مباشرة أعمالهم وحسن أدائها أو الرفع من مستويات الأداء والتبليغ خلال تنفيذ التدخلات والأنشطة العلمية الخادمة لموضوعات التبليغ.

من جهة أخرى، ومن أجل ضمان تنفيذ أسلم لدروس التبليغ المبرمجة في خطب الجمعة وفي المواعظ، يتعين عدم الاقتصار على الطاقات والكفاءات العلمية المحلية المنتسبة لفروع المؤسسة، بل لابد من الانفتاح على جميع المتعاونين والشركاء من خارج الفرع والهيئات العلمية الرسمية القائمة، وذلك من أجل ضمان نفوذ أقوى وانتشار أبلغ لبرامج الخطة ومقتضياتها، تفعيلا للرسالة التي يتحمل فرع المؤسسة نشرها وتفعيلها، والمتمثلة أساسا في التبصير والتحسيس بأهمية استيعاب مضامين المشروع وأهدافه ومقاصده، وما يحققه من ثمرات نافعة للإنسان في دنياه وأخراه.

وبذلك تكون مُخرجات عمل العلماء داخل الفرع وخارجه من خلال الدروس والأنشطة العلمية والميدانية التي ينفذها منصبة أساسا على ما تحتاج إليه وتتطلع إليه مختلف الأوساط المجتمعية المسلمة بمختلف شرائحها، ومن هنا تقوم العلاقة الجدلية بين علماء الفروع وباقي مكونات المجتمع التي تشكل في نهاية الأمر الفئات المستهدفة من طرف العلماء الأفارقة في تسديد التبليغ وترشيده.

وتبقى مهمة تقييم وتقويم التجارب الميدانية قائمة ومصاحبة لجميع الأعمال والتدخلات المرتبطة بالخطة. ولا شك أن هاجس التطوير والتحسين يستلزم بالضرورة وجود آليات لتقييم الأعمال وتقويمها باستمرار، إذ لا ينبغي أن تبقى

التدخلات العلمية والميدانية منتهية من حيث بدأت، حيث لا نتائج ولا آثار تذكر في حياة الناس المستهدَفين بخطة تسديد التبليغ المراد بها تغيير أحوال الناس وسلوكياتهم، بل لا بد من رؤية استراتيجية في التقييم تراعي ما يتميز به كل بلد من أوضاع وظروف وإمكانات ، إذ بالرغم من أن هناك قواسم مشتركة بين الفروع بشكل عام، فإن الأمر لا يمنع من وجود ملامح خاصة، وطرق تدبير وتسيير وتنفيذ متنوعة، لكنها تخضع لمقاييس ومعايير معتبرة، الغرض منها الرفع من المردودية لتحقيق النتائج والثمرات المرجوة من تنزيل خطة تسديد التبليغ في السياق الإفريقي.